

﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ١٠﴾ وَذَرْنِي
وَالْمُكَذِّبِينَ أُولَى النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ١١﴾ [المزمل: 10 - 11]

❁ مُنَاسِبَةُ الْآيَتَيْنِ لِمَا قَبْلَهُمَا:

معاملة الله
والخلق بالمنهج
الحسن والفعل
الحق

أما مناسبة الآية الأولى لما قبلها؛ ففيها وجهان: أحدهما: أن مهمات العباد محصورة في أمرين: كيفية معاملتهم مع الله، وكيفية معاملتهم مع الخلق، والأول أهم من الثاني، فلما ذكر تعالى في أول هذه السورة ما يتعلق بالقسم الأول؛ أتبعه بما يتعلق بالقسم الثاني⁽¹⁾.

والثاني: أنه لما كانت الوكالة لا تكون إلا فيما يُعجز، وكان الأمر بها في قوله تعالى: ﴿فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ مُشيرًا إلى أنه لا بد أن يكون عن هذا القول الثقل خطوبٌ وأحوال؛ قال تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾⁽²⁾، والهجر يترتب على الصبر⁽³⁾.

وأما مناسبة الآية الثانية منهما لما قبلها؛ فلما أمر الله رسوله بالعمل بالأسباب من الصبر والهجر المذكورين؛ بين أنه هو الذي يتولى أمره، ويكفيه شروهم؛ إشارة إلى ضرورة العمل بالأسباب، وعدم الاتكال؛ فاتخاذُه وكيلًا لا يتعاند مع الأخذ بالأسباب، بل الأخذُ بها من اتخاذه وكيلًا.

❁ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿وَاهْجُرْهُمْ﴾: (هجر): أصل يدل على قطعية وقطع⁽⁴⁾، ومن ذلك: المهاجرة من أرض إلى أرض، أي: ترك الأولى للثانية.

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 689 / 30.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 18 / 21.

(3) القنوي، حاشية على تفسير البضاوي: 387 / 19.

(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (هجر).

والتَّهَاجُرُ: التَّقَاطُعُ⁽¹⁾، والهَجَرُ والهَجْرَانُ: مفارقة الإنسان غيره؛ إمَّا بالبدن، أو باللسان، أو بالقلب⁽²⁾، وَهَجَرْتُهُ هَجْرًا مِنْ بَابِ (قَتَلَ) قَطَعْتُهُ، وَالْأَسْمُ الْهَجْرَانُ، وَفِي التَّنْزِيلِ: ﴿وَأَهْجُرُوهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ﴾ [النساء: 34]، أَي: فِي الْمَنَامِ؛ تَوَصُّلاً إِلَى طَاعَتِهِنَّ، وَإِنْ رَغِبَتْ عَنْ صُحْبَتِهِ، وَدَامَتْ عَلَى النُّشُوزِ؛ ارْتَقَى الرَّوْجُ إِلَى تَأْدِيبِهَا بِالضَّرْبِ، فَإِنْ رَجَعَتْ؛ صَلَحَتْ الْعِشْرَةُ، وَإِنْ دَامَتْ عَلَى النُّشُوزِ؛ اسْتُحِبَّ الْفِرَاقُ⁽³⁾، وَمَعْنَى: ﴿وَأَهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾: لَا تَتَعَرَّضْ لَهُمْ، وَلَا تَشْتَغَلْ بِمُكَافَأَتِهِمْ⁽⁴⁾، وَلَا تَعَاتِبْهُمْ⁽⁵⁾.

(2) ﴿النَّعْمَةُ﴾: (نعم): أَصْلُ يَدُلُّ عَلَى تَرْفُّهِ وَطَيْبِ عَيْشٍ وَصِلَاحٍ⁽⁶⁾، وَمِنْ ذَلِكَ: النَّعْمَةُ، وَهِيَ الْحَالَةُ الْحَسَنَةُ، وَالْإِنْعَامُ: إِصْلَاحُ الْإِحْسَانِ إِلَى الْآخِرِ⁽⁷⁾، وَالنَّعْمَةُ بِالْفَتْحِ اسْمٌ مِنَ التَّنْعُمِ وَالتَّمَنُّعِ، وَهُوَ التَّنْعِيمُ، وَنَعِمَ عَيْشُهُ يَنْعَمُ مِنْ بَابِ (نَعَبَ): اتَّسَعَ، وَلَانَ، وَأَنْعَمَ اللَّهُ بِكَ عَيْنًا، وَنَعَّمَهُ اللَّهُ تَنْعِيمًا: جَعَلَهُ ذَا رَفَاهِيَةٍ⁽⁸⁾، وَالنَّعْمَةُ: التَّنْعُمُ وَطَيْبُ الْعَيْشِ⁽⁹⁾، وَالتَّرَفُّهُ وَاللَّذَّةُ فِي الدُّنْيَا، وَهُوَ الْمَرَادُ هُنَا⁽¹⁰⁾.

(3) ﴿وَمَهْلُهُمْ﴾: (مهل): أَصْلُ يَدُلُّ عَلَى تَوَدُّةٍ وَسُكُونٍ⁽¹¹⁾، وَمِنْ ذَلِكَ يُقَالُ: تَمَهَّلَ فِي أَمْرِهِ، أَي: اتَّأَدَّ، وَيُقَالُ: أَمَهَلَهُ، أَي: أَنْظَرَهُ⁽¹²⁾، وَالْمَهْلَةُ بِالضَّمِّ: السَّكِينَةُ وَالرَّفْقُ، وَأَمَهَلَهُ: رَفَّقَ بِهِ، وَمَهْلُهُ تَمَهِيلًا: أَجَلُهُ، وَأَمَهَلَ: بَالَعَ، وَأَعْدَرَ⁽¹³⁾، وَمَعْنَى: ﴿وَمَهْلُهُمْ قَلِيلًا﴾: أَنْظَرَهُمْ إِلَى مَدَّةِ آجَالِهِمْ، أَوْ إِلَى مَدَّةِ الدُّنْيَا⁽¹⁴⁾.

(1) الجوهرى، الصحاح: (هجر).

(2) الأصفهاني، المفردات: (هجر).

(3) الفيومي، الصباح للنير: (هجر).

(4) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 45 / 19.

(5) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 256 / 8.

(6) مقاييس اللغة: (نعم).

(7) الأصفهاني، المفردات: (نعم).

(8) الفيومي، الصباح للنير: (نعم).

(9) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نعم).

(10) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 45 / 19.

(11) ابن فارس، مقاييس اللغة، والتراغب، المفردات: (مهل).

(12) الجوهرى، الصحاح: (مهل).

(13) الفيروزابادي، القاموس للحيط: (مهل).

(14) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 46 / 19.

✽ المغنى الإجمالي:

يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ: واصبر على ما يقول المشركون لك من نسبتيك إلى السحر والجنون والتكذيب، واصبر على أذاهم، واترك ما يعتقدون دون جفاء ومعادة، واترك إليّ تعذيب المكذبين أهل التنعيم في الدنيا، وأخرهم بالعذاب الذي سيأتيهم قريباً، حين يبلغ الكتاب أجله⁽¹⁾.

✽ الإيضاح اللغوي والبلاغي:

سِرُّ الوصل ودلالة العطف:

قوله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ عطف على قوله: ﴿فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾؛ لما بينهما من الائتلاف؛ لكون كل منهما إنشاءً في اللفظ والمعنى، ونكتة العطف: أنَّ الصبر على الأذى يستعان عليه بالتوكّل على الله⁽²⁾، فهو من عطف المسبّب على السبب؛ إذ اتخذه تعالى وكيلاً حافظاً ودافعاً للصبر على ما يقولون، وفي هذا إبراز لعظمة ذلك الأذى وشِدَّتِهِ.

دلالة الأمر ﴿وَأَصْبِرْ﴾:

الأمر في قوله ﷺ: ﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾؛ للوجوب، فيفيد الكلام أنَّ الصبر على أذى المشركين واجبٌ على النبي ﷺ، ومن ورائه أمته، وإفادة الوجوب بصيغة الأمر؛ لبيان أنَّ طلب تحقيقه مرغوبٌ فيه بشدّة؛ لكونه الأبرّ بالملتقى.

معنى ﴿عَلَىٰ﴾ ودلالاتها في ﴿وَأَصْبِرْ﴾:

الحرف ﴿عَلَىٰ﴾ معناه: الاستعلاء الحسيّ، كقوله تعالى: ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَىٰ آفَافِكُمْ تُمْحِلُونَ ۝﴾ [الؤمنون: 22]، وهي في قوله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾؛ للاستعلاء المعنويّ، فالاستعلاء فيها مجازيٌّ غير

الله تعالى
يُجازي الكافرين
على تكذيبهم
وأذاهم

ممّا يجري فيه
التوكّل على الله
بشدّة، الإيذاء
العظيم

الصبر على أذى
المشركين واجبٌ
يُسعى إليه

عظيم الإيذاء
يفتقر إلى عظيم
الصبر

(1) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 690 / 23 - 689، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 256 / 8.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 268 / 29.

حقيقي، وهو يشير إلى عظمة الصبر⁽¹⁾، وشديد مشقته على النفس؛ بحيث يحيط صبره بكل أجزاء أقوالهم؛ وإذا كان كذلك؛ كان صبراً علياً عظيماً في نفسه، عظيماً في مشقته على النفس، ووراء ذلك من المعنى عظم الإيذاء الذي تشتمل عليه أقوالهم.

علة التعبير بالموصول ﴿مَا يَقُولُونَ﴾:

عُبرَ بالموصول في قوله جلَّ مَنْ قَائِلٍ: ﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾؛ للتبنيهِ بما فيه من عموم مع ضمنية إبهامه الشديد على أن الواجب هو الصبر على جميع أنواع الأذى: من السبِّ والاستهزاء⁽²⁾ والوصف بالساحر والشاعر والمجنون⁽³⁾، ونحو ذلك.

بلغة المضارع في ﴿يَقُولُونَ﴾:

جاء بصيغة المضارع في قول الباري ﷻ: ﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾؛ للدلالة على استمرارهم على قول ما يؤذي النبي ﷺ، وفي ذلك تعظيم لجرمهم؛ إذ يسعون باستمرارٍ في محاربة الحق⁽⁴⁾، وفيه إشارة إلى تنوع أقوالهم المؤذية، وتعددتها.

سرُّ الاختصار على ذكر القول:

اقتصر على ذكر القول في قوله ﷻ: ﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾؛ للتخفيف عن النبي ﷺ، ومواساته؛ بالإشارة إلى أنهم لا يصلون إلى غير الأذى بالقول⁽⁵⁾؛ إذ الجرح بالسنان يلبث، ولكن جراح اللسان صعب الالتئام.

دلالة العطف في ﴿وَأَهْجُرْهُمْ﴾:

لما كانت مجانبة البغيض - إلا عند الاضطرار - مما يخفف من

الصبر مطلوب
على جميع أنواع
الأذى

من عظم الإيذاء
تنوع أساليبه

الهجر يعمل
على نسيان إيذاء
المهجور نوع
نسيان

(1) البقاعي، نظم الدرر: 21 / 18.

(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 45 / 19.

(3) البيضاوي، أنوار التنزيل: 3 / 557.

(4) البقاعي، نظم الدرر: 21 / 18.

(5) البقاعي، نظم الدرر: 21 / 18.

أَذاهُ؛ قَالَ ﷺ: ﴿وَأَهْجُرُهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾⁽¹⁾؛ إِذْ كَانَ الصَّبْرُ الْمَطْلُوبُ مِنَ الْمُخَاطَبِ عَظِيمَ الْمَشَقَّةِ عَلَيْهِ؛ فَفَتَحَ اللَّهُ لَهُ بَابَ الْهَجْرِ؛ لِأَنَّهُ مِمَّا يُعَيِّنُ عَلَى تَحْقِيقِ ذَلِكَ الصَّبْرِ.

دلالة الأمر ﴿وَأَهْجُرُهُمْ﴾:

الأمرُ في قولِهِ ﷺ: ﴿وَأَهْجُرُهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾؛ لِلْوَجُوبِ، فَالْهَجْرُ الْجَمِيلُ لِلْمُشْرِكِينَ وَاجِبٌ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَمِنْ وَرَائِهِ أُمَّتُهُ، وَالْإِعْرَابُ عَنِ الْوَجُوبِ بِصِيغَةِ الْأَمْرِ بَيَانٌ عَنْ كَوْنِ تَحْقِيقِهِ مَرْغُوبًا فِيهِ بِقُوَّةٍ.

علة التعبير بـ: ﴿هَجْرًا﴾:

جِيءَ بِالْمَفْعُولِ الْمَطْلُوقِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَهْجُرُهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾؛ لَتَوْكِيدِ الْأَمْرِ بِالْهَجْرِ؛ حَتَّى عَلَى فِعْلِهِ؛ رَغْبَةً فِي حَصُولِ ثَمَرَتِهِ النَّافِعَةِ لِلْمَأْمُورِ بِهِ وَبِالصَّبْرِ، وَلِلتَّوَصُّلِ إِلَى وَصْفِهِ بِكَوْنِهِ جَمِيلًا.

سِرُّ الوصف ﴿هَجْرًا جَمِيلًا﴾:

وُصِفَ الْهَجْرُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَهْجُرُهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ بِكَوْنِهِ جَمِيلًا؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ الْمَطْلُوبَ مِنْهُ ﷺ أَنْ يُجَانِبَهُمْ بِقَلْبِهِ وَهَوَاهُ، وَيُخَالَفَهُمْ فِي الْأَفْعَالِ، مَعَ الْمَدَارَةِ، وَتَرْكِ الْمَعَامَلَةِ بِالْمِثْلِ⁽²⁾، فَالْهَجْرُ الْجَمِيلُ هُوَ الَّذِي يَقْتَصِرُ صَاحِبُهُ عَلَى حَقِيقَةِ الْهَجْرِ، وَهُوَ تَرْكُ الْمُخَالَطَةِ، فَلَا يَقْرِنُهَا بِجَفَاءٍ آخَرَ أَوْ أَذَى، وَهَذَا هُوَ الْأَلْصَقُ بِالْكَمَلِ الَّذِينَ رَأَسَهُمْ نَبِيُّنَا ﷺ، وَلَمَّا كَانَ الْهَجْرُ يَنْشَأُ عَنْ بُغْضِ الْمَهْجُورِ، أَوْ كَرَاهِيَةِ أَعْمَالِهِ، فَكَانَ مُعَرِّضًا لِأَنْ يَتَعَلَّقَ بِهِ أَذَى مِنْ سَبٍّ أَوْ ضَرْبٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ؛ أَمَرَ اللَّهُ رَسُولَهُ بِهَجْرِ الْمُشْرِكِينَ هَجْرًا جَمِيلًا، أَيَّ أَنْ يَهْجُرَهُمْ، وَلَا يَزِيدَ عَلَى هَجْرِهِمْ سَبًّا أَوْ انتقامًا⁽³⁾.

هَجْرُ الْمُشْرِكِينَ
وَاجِبٌ يُحَقِّقُ
بِعَظِيمِ رَغْبَةٍ

طَلَبُ هَجْرِ
الْمُشْرِكِينَ مُؤَكَّدٌ

بَيَانُ هَجْرِ
السَّادَةِ الْكَمَلِ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 21 / 18.

(2) الزمخشري، الكشاف: 4 / 640.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29 / 268 - 269.

دلالة العطف ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِيَ النَّعْمَةِ﴾:

لَمَّا كَانَ فِي أَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ بهجرِ المشركين ما يشقُّ عليه، وَيَعْظُمُ بما فيه مِنْ احتمالِ عُلُوِّهم؛ أَعْلَمَ سبحانه بِقُرْبِ فَرجِهِ بتهديدِهم بأخذِهم سريعاً، فقال: ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِيَ النَّعْمَةِ﴾⁽¹⁾، وفي ذلك بَعَثٌ لِلطُّمَأْنِينَةِ في نَفْسِهِ ﷺ، وإعانةٌ له على الصَّبْرِ والهَجْرِ المطلوبينِ مِنْهُ ﷺ؛ فهذه الآية مِنْ تمام ما قبلها.

دلالة الأمر ﴿وَذَرْنِي﴾:

الأمرُ في قولِ الباري ﷻ: ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِيَ النَّعْمَةِ﴾؛ للوجوب، وفيهِ تقويةٌ لدواعي التَّوَكُّلِ في نَفْسِهِ ﷻ، وَمَنْ وَكَلَ أمرَ عدُوِّهِ إلى اللَّهِ تعالى؛ كفاً، وفي إفادة وجوبه بصيغة الأمر تنبيهٌ على غاية الاهتمام بتحقيقه إحساناً إلى خير الخلقِ ﷺ.

بلادة الكناية في ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ﴾:

في قوله تعالى: ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِيَ النَّعْمَةِ﴾ كنايةٌ لطيفةٌ؛ وذلك أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا عَرَفَ مِنْ صاحِبِهِ أَنَّهُ مَغْمُومٌ بِخَطْبٍ، يَريْدُ أَنْ يُكْفَاهُ، أو بعدوٍّ يَشْتَهِي أَنْ يَنْتَقِمَ لَهُ مِنْهُ، وهو مضطلعٌ بذلك، مقتدرٌ عليه؛ قال: ذَرْنِي وإيَّاهُ، أي: لا تحتاجُ إلى الظَّفَرِ بِمرادِكَ ومشتهاكِ إِلَّا أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ، بأنْ تَكُلْ أمرَهُ إليَّ، وليسَ ثَمَّ مَنْعٌ حتَّى يَطْلُبَ إليه أَنْ يَذَرَهُ وإيَّاهُ إِلَّا تَرَكَ الاستكفاء والتفويض، كأنَّهُ إِذَا لم يَكُلْ أمرَهُ إليه، فكأنَّهُ مَنْعُهُ مِنْهُ، فإذا وَكَلَهُ إليه؛ فقد أزالَ المنعَ، وتركَهُ وإيَّاهُ، وفيهِ دليلٌ على الوثوقِ بأنَّهُ يَتِمَكَّنُ مِنَ الوفاءِ بِأقصى ما يَتِمَنَّاهُ المخاطَبُ، وبما يَزيدُ عليه، وهذه الكناية عن صفةٍ ضربٌ مِنَ الإيجاز، وفيها مِنَ الدَّلالةِ على إقبالِ اللَّهِ على رسوله ﷺ إقبالَ حُبٍّ وإحسانٍ ما فيها، ويجوزُ أَنْ يَكُونَ الكلامُ مِنْ قَبيلِ التَّهْيِيجِ والإلهابِ⁽²⁾.

بعد العمل
بالأسباب يأتي
الفرج

غضب الله
شديداً على
المكذبين بالرسل
الغارقين في
نعمه

من استكفى الله
شرَّ عدوِّه؛ فقد
ظفر

(1) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 18.

(2) الزمخشري، الكشاف: 4/ 640، والطبي، فتوح الغيب: 16/ 97.

معنى الواو في ﴿وَالْمُكَذِّبِينَ﴾:

الله تعالى هو
للتوحي مجازاة
المكذبين

انتصب قوله: (المكذبين) في قوله جَلَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِيَ النَّعْمَةِ﴾ على المفعول معه، والواو وأو المعية⁽¹⁾، والمعنى: فَوُضَّ إِلَيَّ أَمْرُهُمْ، فَإِنِّي فِي غُنْيَةٍ عَنْكَ فِي مُجَازَاتِهِمْ، والكلامُ وَاوَدُّ عَلَى سَبِيلِ الْكِنَايَةِ - كما تقدَّم - وإلا فلا معنى لترك الله تعالى مع المكذبين⁽²⁾.

سِرُّ الإظهار في موضع الإضمار:

التكذيب وصف
قبيح، مأثمه
الهلاك

الظَّاهِرُ أَنْ يُقَالَ: (وَذَرْنِي وَإِيَّاهُمْ) بِالْإِضْمَارِ، وَإِنَّمَا عُدِلَ إِلَى الْإِظْهَارِ فِي قَوْلِهِ ﷺ: ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِيَ النَّعْمَةِ﴾؛ تَعْلِيلًا لِلْحُكْمِ بِالْوَصْفِ، فَالتَّكْذِيبُ هُوَ سَبَبُ هَذَا التَّهْدِيدِ، وَتَعْمِيمًا لَهُ⁽³⁾؛ بِحَيْثُ يَشْمَلُهُمْ، وَيَشْمَلُ كُلَّ مَنْ كَانَ عَلَى شَاكِلَتِهِمْ، وَلِذَلِكَ يوصفُ التَّكْذِيبُ⁽⁴⁾.

دلالة التعريف في ﴿وَالْمُكَذِّبِينَ﴾:

تهديد المكذبين
في عهد النبي ﷺ

تعريفُ الْمُكَذِّبِينَ بـ(أَل) فِي قَوْلِهِ ﷺ: ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِيَ النَّعْمَةِ﴾؛ لِلْعَهْدِ الْعَلَمِيِّ؛ إِذِ الْمَرَادُ بِهِ الْمَكْذُوبُونَ الَّذِينَ كَانُوا فِي عَهْدِهِ ﷺ، أَوْ لِلْعَهْدِ الذِّكْرِيِّ؛ لِسَبْقِ ذِكْرِهِمْ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَأَهْبِزْهُمْ هَزَجًا جَمِيلًا﴾، وَالْمَالُ وَاحِدٌ، وَالْحُكْمُ الْمُتَعَلِّقُ بِهِمْ صَادِقٌ عَلَى غَيْرِهِمْ فِي كُلِّ عَصْرٍ وَمِصْرٍ وَجَنَسٍ؛ لِأَنَّ الْعِبْرَةَ بَعَمُومِ اللَّفْظِ، لَا بِخُصُوصِ السَّبَبِ؛ إِذَا تَحَقَّقَتْ صُورَةُ السَّبَبِ، أَوْ يَكُونُ التَّعْرِيفُ لِلْجَنَسِ، وَيَدْخُلُ فِيهِ دُخُولًا أَوَّلِيًّا الْمَكْذُوبُونَ فِي زَمَنِهِ ﷺ، فَهَمَّ الْمَقْصُودُونَ بِالتَّهْدِيدِ قَصْدًا أَوَّلِيًّا، وَعَلَى الْأَوَّلِ يَكُونُ فِي الْكَلَامِ إِظْهَارٌ فِي مَوْضِعِ الْإِضْمَارِ، وَأَمَّا عَلَى الثَّانِي؛ فَلَا، وَالْأَوَّلُ هُوَ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 269 / 29.

(2) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 387 / 19.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 18 / 21، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 269 / 29.

(4) الألوسي، روح المعاني: 119 / 15.

الأعلى؛ لأنَّ في الثاني إيحاشاً له ﷺ بِذِكْرِ أَنَّ مِمَّنْ يَأْتِي بَعْدَهُ فِي أَمَّتِهِ مُكَذِّبِينَ غَيْرَ الَّذِينَ فِي قَوْمِهِ فِي وَقْتِ الْخُطَابِ، وَهَذَا يُوَحِّشُهُ، وَيَغْمُهُ، وَالسِّيَاقُ لِلتَّخْفِيفِ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَأَهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾.

دلالة اسم الفاعل ﴿وَالْمُكَذِّبِينَ﴾:

عُبرَ بصيغة اسمِ الفاعلِ في قوله تعالى: ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِيَ النَّعْمَةِ﴾؛ للدلالة على رُسوخهم في صفة التَّكْذِيبِ، وعِرَاقَتِهِمْ فِيهَا⁽¹⁾، والحكمُ الثَّابِتُ في حَقِّهِمْ ثَابِتٌ لَمَنْ هُوَ أَدْنَى مُسْتَوًى مِنْهُمْ فِي التَّكْذِيبِ، وَلَوْ عُبرَ بما يشتمل على الفعل المُعْبَرُ عن المستوى الأدنى: (وَالَّذِينَ كَذَّبُوا - أَوْ يُكْذَّبُونَ)؛ لِلزَّمِّ مِنْ ثُبُوتِ الْحُكْمِ لَهُ ثُبُوتُهُ لِلأَعْلَى بِقَرِينَةِ السِّيَاقِ، وَإِنَّمَا ذُكِرَ الْمُسْتَوًى الْأَعْلَى فِي التَّكْذِيبِ؛ تَنَاسُبًا مَعَ الْأَمْرِ بِالصَّبْرِ وَالْأَمْرِ بِالْهَجْرِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ يَعْنِي عَظَمَ قَوْلِهِمْ فِي بَابِ الْإِذَاءِ وَالْإِسَاءَةِ.

دلالة الوصف ﴿أُولِيَ النَّعْمَةِ﴾:

لَمَّا ذَكَرَ ﷺ وَصَفَهُمُ الَّذِي اسْتَحَقُّوا بِهِ الْعَذَابَ؛ ذَكَرَ الْحَامِلَ عَلَيْهِ؛ تَزْهِيدًا فِيهِ، وَصَرَفًا عَنْ مَعَاشِرَةِ أَهْلِهِ؛ لئَلَّا تَكُونَ الْمَعَاشِرَةُ فِتْنَةً، فَتَكُونَ حَامِلَةً عَلَى الْإِتِّصَافِ بِهِ، وَجَارَةً إِلَى حُبِّ الدُّنْيَا، فَقَالَ: ﴿أُولِيَ النَّعْمَةِ﴾⁽²⁾، وَفِي هَذَا الْوَصْفِ أَيْضًا تَوْبِيخٌ لَهُمْ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا؛ لَغُرُورِهِمْ وَبَطَرِهِمْ بِسَعَةِ حَالِهِمْ، وَتَهْدِيدٌ لَهُمْ بِأَنَّ الَّذِي قَالَ: (ذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ)، سَيُزِيلُ عَنْهُمْ ذَلِكَ النَّعْمَ، وَتَعْرِضُ بِالنَّهْكَمُ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يُعَدُّونَ سَعَةَ الْعَيْشِ وَوَفْرَةَ الْمَالِ كَمَالًا، وَكَانُوا يُعَيِّرُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْفَقْرِ⁽³⁾.

العريقون
في الكذب
والتكذيب محل
الغضب الإلهي

معاشرة أهل
الدنيا تجر إلى
حبها

(1) البقاعي، نظم الدرر: 21 / 18.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 21 / 19.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29 / 269 - 270.

دلالة تعريف «النَّعْمَةِ»:

المكذَّبُونَ فِي رَغَدٍ
مِّنَ الْعَيْشِ
مَعْرُوفٍ

تعريف النَّعْمَةِ في قوله ﷺ: «أُولَى النَّعْمَةِ»: للعهد الذَّهْنِيّ⁽¹⁾؛ إذ المراد بها ما كانوا عليه مِنَ الغنى وَسَعَةِ العيش، ففيه استحضارُ لأفراد ذلك في سياقِ التَّنْفِيرِ والترهيبِ مِنْ تكذيبهم؛ ممَّا يجعلهم يُفَكِّرُونَ في قضية الإيمان والكفر.

سرُّ عطف «وَمَهْلُهُمْ»:

وعيدُ الله
للمكذِّبِينَ
متحقِّقٌ لا
محالة

قوله تعالى: «وَمَهْلُهُمْ قَلِيلًا» معطوفٌ على قوله: «وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولَى النَّعْمَةِ»، ونكتة ذلك: توكيدُ الوعيد، وبيانُ أَنَّ زمانَ النِّعَمِ الدُّنْيَوِيَّةِ قصيرٌ، وأنَّ نصرَةَ اللَّهِ تعالى لنبيه قُرْبَةً سريعةً⁽²⁾.

دلالة الأمر في «وَمَهْلُهُمْ»:

وجِب التمهيلُ
عليه؛ تخفيفًا
عليه

الأمرُ في قوله ﷺ: «وَمَهْلُهُمْ قَلِيلًا»؛ للوجوب، فيجبُ على النَّبِيِّ ﷺ تمهيلُ المكذِّبِينَ إلى حينٍ مجيءِ وعيدِ الله تعالى لهم، وكذلك مَنْ كانوا رُسُلَ رسولِ الله إلى النَّاسِ، والإعرابُ عن وجوبه بصيغة الأمر إرشادُ المأمورِ إلى أنَّ يفعل ما طُلب منه بغاية الرَّغْبَةِ؛ لأنَّ فيه كلَّ خير له.

دلالة صيغة التفعيل في «وَمَهْلُهُمْ»:

التَّائِي في تركِ
المكذِّبِينَ

بناءُ التَّفْعِيلِ في قوله تعالى: «وَمَهْلُهُمْ قَلِيلًا»؛ للتَّدرِجِ⁽³⁾، أي: أتركهم برفقٍ، وتأنٍّ، وتدرِجٍ، ولا تهتمَّ بشأنهم⁽⁴⁾، ويحتملُ أَنْ يكونَ التَّفْعِيلُ لتكثيرِ المفعولِ⁽⁵⁾، والدَّلالتانِ لا تتعاندانِ.

سرُّ التَّقييدِ بـ «قَلِيلًا»:

البشارةُ بِقُرْبِ
هلاكِ المكذِّبِينَ

جاءَ بقوله: «قَلِيلًا» قيدًا لفعل الأمر، في قول الحقِّ جلَّ شأنه:

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 270 / 29.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 19 / 21، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 270 / 29.

(3) القنوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 388 / 19.

(4) البقاعي، نظم الدرر: 19 / 21.

(5) الخفاجي، عناية القاضي: 265 / 8، والالوسي، روح المعاني: 119 / 15.

﴿وَمَهْلَهُمْ قَلِيلًا﴾؛ لزيادة بشارَةِ النَّبِيِّ ﷺ بأنه قد قَرَبَ وقتُ هلاكِهِم والظَّفَرِ بهم، مِنْ بعدِ سروره بوعيدِهِم الشَّدِيدِ في جملة: ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِيَ النَّعْمَةِ﴾، فينبغي عليه أَنْ يكونَ مستعدًّا لحمدِهِ تعالى⁽¹⁾، ودلَّ التَّكْيِيرُ في الوصفِ على القَلَّةِ أيضًا، فيكون التَّخْلِيلُ عميقًا لِقُرْبِ زوالِهِم وانتصارِ دينِ اللَّهِ تعالى على دينِهِم.

❖ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

(يتركُّ) و(يَذَرُّ):

التَّرَكُّ: تخليفُ الشَّيْءِ في المكانِ الَّذِي هو فيه، والانصرافُ عَنْهُ، ويقالُ: يَذَرُ الشَّيْءَ؛ إذا تركَهُ؛ لقلَّةِ الاعتدالِ به⁽²⁾، ففيه معنى زائد ليس في التَّرَكُّ، فعبَّرَ به في قوله: ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِيَ النَّعْمَةِ﴾؛ للإشارةِ إلى عدمِ الاعتدالِ بشأنِ المُكَذِّبِينَ، فكلُّ (يذر) هو (يتركُّ)، ولا ينعكسُ، والعلاقةُ بينهما العمومُ والخصوصُ المُطلقُ.

النَّعْمَةُ والنَّعْمَةُ والنَّعْمَةُ:

النَّعْمَةُ بالفتحِ: اسمٌ للتَّرفُّهِ والتَّعْنُمِ، والنَّعْمَةُ بالكسرِ: اسمٌ للحالةِ الملائمةِ لرغبةِ الإنسانِ، مِنْ عافيةٍ، وأمنٍ، ورزقٍ، ونحوِ ذلك مِنْ الرِّغائبِ، والنَّعْمَةُ بالضمِّ: اسمٌ للمسرَّةِ⁽³⁾.

وجعلُ المُكَذِّبِينَ هنا ذوي نَعْمَةٍ؛ للإشارةِ إلى أَنَّ قُصارى حَظِّهم في هذهِ الحياةِ هي النَّعْمَةُ، أي: الانطلاقُ في العيشِ بلا ضيقٍ، والاستغلالُ بالبيوتِ والجَنَّاتِ، والإقبالُ على لذيذِ الطَّعومِ ولذائذِ الانبساطِ إلى النَّساءِ والخمرِ والميسرِ، وهم مُعرضُونَ عن كمالاتِ النَّفْسِ ولذَّةِ الاهتداءِ والمعرفةِ⁽⁴⁾.

الحثُّ على
قلَّةِ الاعتدالِ
بالمُكَذِّبِينَ

قُصارى حَظِّ
المُكَذِّبِينَ في
الدُّنيا هو التَّمَتُّعُ
بنعيمِها

(1) البقاعي، نظم الدرر: 19/21، والقونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 388/19.

(2) زيدان، الفروق اللغوية، ص: 766 - 768.

(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 30/689، والسمين، الدر للصون: 10/523.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/270.

التَّائِي فِي انتِظَارِ
تَحَقُّقِ وَعْدِ اللَّهِ
لِلْمُكَذِّبِينَ

الإرجاء والاستدراج والإملاء والتَّمهيل:

الإرجاء: التَّأخير، والاستدراج: إدناء الشَّيءِ، وأخذُه تدريجيًّا،
والإملاء: التَّأخيرُ لمدَّةٍ طويلةٍ، والتَّمهيل: التَّؤدَّة والسُّكُونُ والانتظارُ
مع عدم الاستعجال⁽¹⁾.

وقد عبَّرَ بالتَّمهيلِ هنا؛ للحثِّ على التَّائِي فِي انتِظَارِ تَحَقُّقِ وَعْدِ
المُكَذِّبِينَ، لَا سِيَّما وقد ذَكَرَ ﴿١٠١﴾ أَنَّهُ قَلِيلٌ، وَلَيْسَ طَوِيلًا.

(1) زيدان، الفروق اللغوية، ص: 119 - 121.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والستون،
سورة المَعَارِج من الآية 15 إلى سورة المُدَّثِّر الآية 56
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والستون، سورة المَعَارِج من الآية 15 إلى سورة المُدَّثِّر الآية 56
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2026.

مج. 64، 806 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 978-9948-647-38-6

يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.

مج. 64: المجلد الرابع والستون، سورة المَعَارِج من الآية 15 إلى سورة المُدَّثِّر الآية 56.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-647-38-6

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-6817852 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"